بسم الله الرحمن الرحيم

«بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ» 20/ 5/ 1446هـ

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدُودًا لَطِيفًا، يُدَاعِبُ أَصْحَابَهُ، وَيُلَاطِفُهُمْ، وَيُمَازِحُهُمْ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا صِدْقًا. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُقَالُ: لَهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ كَانَ يُهْدِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِينَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ» قَالَ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ»، فَقَالَ زَاهِرٌ: تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللهِ كَاسِدًا، قَالَ: «لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ»، أَوْ قَالَ ﷺ: «بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْحُبِّ وَالْمَحَبَّةِ يَسْتَهْوِي النُّفُوسَ وَالْقُلُوبَ، وَلَهُ شُعُورٌ فِطْرِيٌّ مَحْبُوبٌ، فَالْحُبُّ يُضْفِي عَلَى الْحَيَاةِ بَهْجَةً وَفَرَحًا، وَجَمَالًا وَرِضًا، وَيَكْسُو الرُّوحَ بَهَاءً وَسُرُورًا. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» عَنْ مَنْزِلَةِ الْمَحَبَّةِ: وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مَنْزِلَةُ الْمَحَبَّةِ، وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ، وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ، وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ، وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ، فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ، وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ، وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ، وَهِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ، تَحْمِلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بَالِغِيهِ، وَتُوصِلُهُمْ إِلَى مَنَازِلَ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَدًا وَاصِلِيهَا، وَتُبَوِّؤُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِ الصِّدْقِ مَقَامَاتٍ لَمْ

يَكُونُوا لَوْلَاهَا دَاخِلِيهَا، وَهِيَ مَطَايَا الْقَوْمِ الَّتِي مَسْرَاهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهَا دَائِمًا إِلَىٰ الْحَبِيبِ، وَطَرِيقُهُمُ الْأَقْوَمُ الَّذِي يُبَلِّغُهُمْ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمُ الْأُولَىٰ مِنْ قَرِيبٍ.

تَاللهِ لَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُهَا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ إِذْ لَهُمْ مِنْ مَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمْ أَوْفَرُ نَصِيبٍ، وَقَدْ قَضَىٰ اللهُ - يَوْمَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ بِمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ -: أَنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ. فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ عَلَىٰ الْمُحِبِّينَ سَابِغَةٍ. تَاللهِ لَقَدْ سَبَقَ الْقَوْمُ السُّعَاةَ، وَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِ الْفُرُشِ نَائِمُونَ، وَقَدْ تَقَدَّمُوا الرَّكْبَ بِمَرَاحِلَ، وَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ وَاقِفُونَ.

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكَ الْمُدَلَّلِ تَمْشِي رُوَيْدًا وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ

كَفَىٰ بِأَصْحَابِهَا سُرُورًا وَحُبُورًا، وَفَخْرًا وَعِزًّا، أَنَّ اللهَ ﷻ يُقَرِّبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُجْلِسُهُمْ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَه الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاسًا، مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: الْمَحَبَّةُ فِي اللهِ، مِنْ أَوْثَقِ عُرَىٰ الْإِيمَانِ، وَدَلِيلُ الصِّدْقِ وَأَمَارَةُ الْإِحْسَانِ، وَبِهَا يَجِدُ الْمَرْءُ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَهِيَ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ، وَمِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ، وَكَمَا أَنَّ الْمَحَبَّةَ فِي اللهِ تَنْفَعُ صَاحِبَهَا فِي الدُّنْيَا، بِالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ وَالْبِرِّ، وَالتَّوَاصِي عَلَىٰ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ، فَإِنَّهَا فِي الْآخِرَةِ تَرْفَعُ الْمُحِبَّ لِمَنْ هُوَ أَعْلَىٰ مِنْهُ مَنْزِلَةً وَإِيمَانًا، وَأَكْثَرُ اجْتِهَادًا وَعَمَلًا، فَالْمَرْءُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ

أَحَبَّ، فَمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَحَبَّ مَنِ اتَّبَعَ سُنَّتَهُ، وَاقْتَفَىٰ آثَارَهُمْ، حَشَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَتِهِمْ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟» قَالَ: حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، حِينَ يَشْتَدُّ الزِّحَامُ، وَيَطُولُ بِالنَّاسِ الْقِيَامُ، وَالشَّمْسُ بِمِقْدَارِ مِيلٍ مِنْ رُؤُوسِهِمْ، وَيَبْلُغُ الْعَرَقُ مِنْهُمْ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، هُنَاكَ يُنَادِي اللهُ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِهِ، وَعَظَمَتِهِ وَخَشْيَتِهِ، فَيَقُولُ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: -وذكر منهم-: وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الدُّعَاءُ وَالْإِحْسَانُ لِلْمَحْبُوبِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ دَلِيلٌ عَلَىٰ سَلَامَةِ الْقَلْبِ، وَهُوَ مِنْ ثَمَرَاتِ الْمَحَبَّةِ، فَالدَّاعِي يُحْسِنُ لِأَخِيهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَمَنْ دَعَا لِأَخِيهِ فَقَدْ دَعَا لِنَفْسِهِ، وَنَفَعَ أَخَاهُ وَنَفَعَ نَفْسَهُ، وَأَكْثَرُ الْأَصْحَابِ ثَوَابًا عِنْدَ اللهِ أَكْثَرُهُمْ دُعَاءً وَإِحْسَانًا لِصَاحِبِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَيَدْعُو وَيَسْتَغْفِرُ لَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، وَكَانَ يَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأَكْرَمَ ﷺ عَجُوزًا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَدِينَةِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهَا كَانَتْ تَأْتِيهِمْ أَيَّامَ خَدِيجَةَ، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَنْ أَنْتِ؟» قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟» قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُقْبِلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ».

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ حَثَّتْ شَرِيعَتُنَا عَلَىٰ الْحُبِّ فِي اللهِ، وَالتَّوَادِّ وَالْأُلْفَةِ، وَالْعَاقِلُ يَتَحَبَّبُ إِلَىٰ النَّاسِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالتَّعَامُلِ مَعَهُمْ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ، فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَحْيَا الْمَرْءُ بَيْنَ قَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، وَيَأْلَفُهُمْ وَيَأْلَفُونَهُ، فَالْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَيُحِبُّ وَيُحَبُّ، وَكَمْ فِي سِيرَةِ نَبِيِّنَا ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ مِنْ صُوَرٍ مُشْرِقَةٍ، وَصَفَحَاتٍ مُضِيئَةٍ، مِنَ التَّهْنِئَةِ بِالْمَسَرَّاتِ، وَالْبِشَارَةِ بِالْمَحْبُوبَاتِ، مِمَّا يَغْرِسُ الْمَحَبَّةَ فِي النُّفُوسِ، وَيَنْشُرُ الْأُلْفَةَ بَيْنَ النَّاسِ.

إِنَّ مِمَّا يَزِيدُ الْمَحَبَّةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ: زِيَارَةُ مَرِيضِهِمْ، وَتَشْيِيعُ جَنَائِزِهِمْ، وَتَنْفِيسُ الْكُرُوبِ عَنْهُمْ، وَالتَّيْسِيرُ عَلَىٰ مُعْسِرِهِمْ، وَسَتْرُ عُيُوبِهِمْ، وَإِلْقَاءُ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ التَّغَافُلَ عَنْ هَفَوَاتِ الْأَحْبَابِ، وَتَجَنُّبَ كَثْرَةِ عِتَابِهِمْ، وَقَبُولَ مَعَاذِيرِهِمْ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِهِمْ، مِنْ أَسْبَابِ دَوَامِ الْمَحَبَّةِ، كَمَا أَنَّ التَّزَاوُرَ وَالتَّوَاصُلَ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الصُّحْبَةِ، وَهُوَ يُوجِبُ مِنَ اللهِ الْمَحَبَّةَ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». وَالْمُحِبُّ الصَّادِقُ مِرْآةُ أَخِيهِ، إِنِ اسْتَشَارَهُ نَصَحَ لَهُ، وَإِنْ أَخْطَأَ أَخَذَ بِيَدِهِ وَذَكَّرَهُ، وَلَا يَكُونُ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ».